انتقام شهرزاد

الخير شوار: قاصّ وروائيّ جزائريّ. له مجموعتان قصصيّتان (**زمن المكاء، ومات العشقُ بعده**)، ورواية، وكتابان أدبيّان.

تنقل المؤرّخة، قطر الندى التبريزيّة، المتوفّاة في الأهواز نهاية القرن الحادي عشر للهجرة، هذه الحادثة العجيبة، وذلك في مخطوطها المحفوظ في متحف استانبول المسمّى **الجُمان في أخبار ملوك الزمان**.

وتقول التبريزيّة إنه جاء في أخبار الملك شهريار، لمّا فرغت الأميرة شهرزاد من حكاياتها التي روتها فيما يزيد عن ثلاث من السنين، جمع الملكُ النُّسّاخَ والمؤرِّخين وأمرهم بتدوين كلّ ما سمعه من الحكايا، من الألف إلى الياء.

لم يبيّنْ لنا الرواةُ كيف جرى التدوين:

فمنهم من قال إنّ الملك، لمّا أخذت الحكايا لبّه، حفظها عن ظهر قلب، وأعادها على مسامعهم.

ومنهم من قال إنّ الأميرة شهرزاد، التي أصبحتْ بعد الليالي ملكة، جلستْ تكلّم المدوِّنين من وراء حجاب، تعيد الحكايا من أوّلها، حتى أتمّت روايتها من الذاكرة؛ ولمّا أتمّ النسّاخُ كتابةَ الكتاب أسموْه «سيرة ألف ليلة وليلة» أو «السيرة الجميلة لألف ليلة وليلة،» وسلّموه الملكَ، الذي أدخله خزانته وأغلق عليه بالمفتاح الغلق الأبديّ، فحار الناسُ في هذا التصرّف العجيب، من دون أن يجرؤ أحد عن سؤاله.

لكنّ ما حدث بعد ذلك فضح الأمرَ، فزال العجب بعد أن عرف الناسُ السبب.

❖❖❖

فاجأ النُّسّاخُ الملك بأن بدأ كلّ واحد منهم يعيد الكتابة والرواية من ذاكرته. تعدّدت الروايات. وقيل بعدها إنّ سبب تصرّف ملك الزمان هو أنّ الحكايا موجّهة إليه، وتخصّه وحده.

وقيل إنّ وراء الأمر سببًا آخر، وهو ما جعله ينبّه إلى أمر النسّاخ والمؤرِّخين وحاول أن يقتلهم جميعًا، بل شرع في ذلك بالفعل، فمات منهم من مات، وتشرّد من تشرّد.

ذهبتْ حكاياتُ شهرزاد بلبّ الملك، وجعلته يؤجّل قتلها في كلّ مرة، وهو ينتظر على أحرّ من الجمر حلولَ الليل حتى تستأنف بقيّة ما عندها. ثم أخذته الغيرة، وأراد أن يتولّى بنفسه دفّة الحكي. وقيل إنّ الأمر حدث فعلاً في الليلة الثالثة بعد الخمسمائة، وقيل حدث في الليلة الستين بعد السبعمائة من الليالي، والأرجح أنّ الأمر حدث قبل إتمام شهرزاد حكاياتها في كلّ الأحوال.

❖❖❖

وبلغنا أنّ ملك الزمان، لمّا قرّر أن يتولّى دفّة الحكي، جلس مكانَ شهرزاد وجلستْ هي في مكانه المعتاد. ولمّا همّ بالحكي، كاد أن يقع في المحظور ويتحوّل إلى أضحوكة الأزمان. فشهرزاد تبدأ حكايتها بعبارة «بلغني أيها الملكُ السعيد، ذو العقل الرشيد،»

لكنّ الملك حار في الديباجة وقال بعد تردّد: «بلغني أيّها الأميرة السعيدة ذو العقل الرشيدة،» قبل أن ينتبه إلى الخطأ ويتلعثم من جديد في حضرة الأميرة التي توقّفتْ عن الحكي، فأشفقتْ عليه وقد مرّ شطر من الليل، وأقنعته بأن يقول «بلغني» فقط ليدخل بعدها في لبّ الحكاية. ولمّا فعل ذلك زادت حيرته والعرقُ يتصبّب منه في زمن الشتاء، ورأى أنّ الحكايا التي يمكن أن تخطر في باله كان قد سمعها منها بالفعل.

❖ ❖ ❖

وهكذا كانت تلك الليلة هي الأسوأ من عمر شهريار الذي أدرك أنه أدخل نفسه في قفص أُغلق عليه من الخارج بالمفتاح، والمفتاح خطفه طائرٌ عملاقٌ وطار به إلى جزائر واق الواق. وشعر الملك بالحمّى تأكل عظامَه، وبالعرق البارد يتصبّب من جبهته، قبل أن يأتيه طوقُ النجاة، فتشفق شهرزاد عليه، ليأمرها بعد ذلك بالعودة إلى استئناف حكيها من جديد، وهو يضحك ضحكته الصفراء، ويقول لها إنه كان يمازحها فقط.

وما غاب عن ذهن شهريار ولم يغب عن بال شهرزاد أنّ حادثة تلك الليلة ستصبح جزءًا من متن الليالي، إذ ستتناقلها الألسنُ قبل أن تُكتب في ذلك المخطوط الذي عمد إلى الإغلاق عليه رغبةً في وأد حكاية تلك الليلة.

رواية عن إحدى أكبر الشخصيات الخطرة في التاريخ الإنساني، أبي حامد الغزالي، عن يتمه المبكّر وطفولته البائسة المحرومة من حنان الحب، عن تجربة الحب الآدميّ مع حوّاء، عن خوضه الحروبَ الفكرية والعقديّة. نخاف عليه حين استهلّ خصومُه من الباطنيّة سياسةَ الاغتيالات السياسيّة. ونعاني لأجله حين يصاب بذعر شديد، فيُعتقل لسانه عن الكلام ويَترك التدريس في نظاميّة بغداد ليخرج هائمًا على وجهه إلى الشام وبيت المقدس. لكنّنا نشعر بالأمل حين يولد من جديد ويسلك طريق التزهُّد والانقطاع، ويعيش حياة الصفاء الروحيّة التي يجد فيها السعادة المنشودة. واليوم بعد مرور تسعمائة سنة على وفاة هذه القمة الإنسانيّة الكبرى، يدعونا الكاتب إلى لحظة تدبّر في سيرة أبي حامد الكثيفة بالأحداث والتقلُّبات، والتفكير في تركته، لبعث روح الإحياء من جديد في إنسانيّة القرن الحادي والعشرين...